زوجة اليوم مطلقة الغد!!

في بعض الدول الأجنبية ـ وفي طليعتهـا السويد ـ يعسر الحصول على شريكة الحـياة.. بسبب غـياب دور الأسرة في البـحث والتنقيب عن الزوج المناسب:

لأن دور الأسرة هناك ينتـهي ببلوغ الفتاة والفـتى على السواء.. ومن ثم.. يتعثر الفتى في بحثه عن شريكة حياته..

وقد تطول مدة الاخـتبار.. بعد ما طالت مدة الاخـتيار.. إلى درجة المعـاشرة الزوجـية قـبل الاقتـران النهـائي.. وكان لابد أن تفـشل علاقـة الزواج.. ثم يكون الطلاق!

●●●

والغريب حقًا:

أن يكون الطلاق أسهل في إجراءاته من الزواج هناك؟!

فما على الراغب في الطلاق ـ زوجًـا كان أو زوجة ـ إلا أن يملأ بطاقة معـدة للطلاق. ثم ينتظر ستة شهـور يصبح بعدها الطلاق واقـعًا.. ويحق للمرأة أن تطلق زوجها تمامًا مثلما يمارس الرجل هذا الحق.

●●●

سبب الخلل:

وقد يرجع البـعض سبب هذا الخلل إلى ضعف التـدين.. وقد يكون

السبب هو الرفاهية من وراء زيادة الدخل هناك..

ويرى بعض الباحثين:

أن الدولة هناك هي السبب. لماذا؟

فالدولة تضمن للمطلق:

أ ـ إعانة لإطفاله حتى البلوغ.

ب ـ ثم رعاية صحية لا يتحمل الوالد فيها شيئًا.

جـ ـ هناك نظام كامل لرعاية المسنين.. وأصحاب المعاشات..

كل هذه المغريات زهدت في الرباط الأسري. مـا دام حق الحياة الآمنة مكفولاً.

●●●

من آثار هذا الاتجاه:

نشأ الجيل الجـديد زاهدًا في الأسرة.. التي قد تكون سـبب الشقاء.. لا مصـدر الهناء.. وقد يدعم هذا الاحـساس.. مـا يكون من الآباء الذين يطردون أبناءهم وبناتهم بـعد البلوغ مـباشـرة.. ليـعتـمدوا من بعـد على أنفسهم، وأغرب ما في الأمر ـ كما يقول باحث ـ

أن يكون الزواج هو الخـطوة الأولى نحـو الطلاق.. الـذي يكون هو القاعدة.. بينما الزواج هو الاستثناء!

●●●

أما في الإسلام:

فإن الله ـ عز وجل ـ يأمر الأزواج:

obeikandl.com

أولاً: بالمعاشرة بالمعروف..

وثانيـا: وفي حال الكراهة. فلا تطلقوهن. فربما كان في الإمساك خير كثير.

يقول عـز وجل ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فإن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. [النساء: ١٩].

والمعنى: لا تتعجلوا الطلاق.. واصبـروا عليهن. ذلك بأن الاستجابة للهوى خـسران مبين.. فشـأن الهوى أنه لا يدعو إلى خـير.. وإذا تأملت قوله تعالى «شيئًا» أدركت كيف عـمم سبحانه الحكم.. ليشمل كل شئ.. تتميمًا للفائدة..

والنتيجة:

عـسى أن تكرهوا شـيـئًـا.. وفيـه الخـيـر كله.. فـأنتم لا تعلمـون العواقب.. ولو أنه تعالى أعلمكم بالعواقب لسكنتم إلى المألوف.. ولنفرتم من كل مكروه..

من أسباب الطلاق:

أ- قد تكون «الغيرة» هي «الغريم» المختـبئ في حنايا النفوس.. مهددًا بالويل والثبور.. وإذن.. فـالزوج محتاج إلى الحكمة يعتـصم بها فرارًا من آثار الغيرة المتربصة:

ولا تعالج الغيـرة بالأقراص.. لأنها أقراص «فـوّارة» تذوب سريعًا.. ثم تبدو القضية على السطح مرة أخرى:

وقد تكون الصراحـة بين الزوجين دواء هذا الداء العنيف.. فقد يكون ما صدر منا.. بلا وعي.. وعـفويًا.. وعندئذ فسوف نتلافى في المسـتقبل

كل ما يؤذي شعور الطرف الطرف الآخر.. وفي الوقت المناسب.. وقبل أن تصير الحبة.. قبّة!

من تجاربي:

في مجالس الصلح كنت أسمع كثرة الإدعاء.. وكل يغني على ليلاه.

ثم يطول الكلام.. والملام.. فإذا أنت أمام ركام: أمام كومة من «القشّ» تبحث فيها عن «رأس دبوس»؟!

ورأس الدبوس هنا هو:

أن العروس لا تجيد الجلوس أمام «التنور» لإنضاج الخبز!!

ومع تفاهة السبب.. لكنه أحيانًا يكون تلك القشة التي تقصم ظهر البعير. وأحيانًا.. نفتعل المشكلات لتكون هي الأطلال التي نتباكى عليها.

●●●

وواجبنا أن نعلم ونرشد: و«كذلك كنتم من قبل» فمَّن الله عليكم.. فتعلمتم..

وواجبكم:

أن تجعلوا من شكر نعمة الله عليكم إن تعلمتم أن تعلموا الجاهل.

وترشدوا الضال.

obeikandl.com

خاتمة المطاف

•••

غريب
طريح على باب الرجاء

أصر العجوز على الزواج.. حتى ولم يبق فيه إلا رمق من الحياة!

وقلت لأولاده الغضاب.. فيما يشبه العتاب:

دعوه.. يحقق أمنيته.. ولو كانت ليلة واحدة!

قبل أن يستحوذ عليه الشيطان فينسيه مركزه.. وسنّه.. ثم ترثون عار الأبد!

دعوه.. فالرغبة ملحة غلابة.. وفي قلبه ظمأ إلى الجنس.. ولابد من إروائه مهما لقى منكم وعوداً.. أو رعوداً..

إنه على ما يقول الشاعر:

ظمأ بقلبي.. لا يكاد يسيغه

رشف الزلال.. ولوشربت بحوراً

•••

وفي تعليل ذلك يقول العقاد:

[وأخطر ما يصاب به الشيوخ: هو أنهم أسرع الناس إقبالاً على الزواج.. لهذا السبب: أي بسبب الإرهاق في التفكير.

ولذلك يستسلمون.. والحقيقة أنهم استسلموا مرة للإرهاق.

ومرة للنشاط العقلي الفائق عند المرأة التي يتقدمون للزواج منها.. فهم إذن: يستسلمون لضعفهم.. ثم يستسلمون لقوتها].

ثم يقول في تعليل المرأة:

[إن المرأة قد وضع الله في جسمها مكانًا لكائن آخر:

ومن أجل سلامة هذا الكائن الآخر، خصتها الطبيعة بالقوة.. ولذلك.. فليس صحيحًا أن المرأة جنس لطيف. بل هي جنس عنيف.. إذ كيف تقوى على احتمال هذه الآلام الشنيعة عند الولادة.. وفي كل مرة تحمل المرأة وتلد تقسم ألا تفعل ذلك مرة أخرى.. ثم تلد].

●●●

وقد نضيف إلى ما قاله عملاق الفكر الإسلامي:

إن الرغبة المشتعلة في العُجُز من الشيوخ. هي نوع من التشبث بالحياة.. الحياة التي تلملم أشعتها بين يدي الموت.. فإذا بالشيخ يحاول الرجوع إلى سابق عهده كما كان.. ليستأنف الحياة من جديد.. يستأنفها في أقوى البراهين عليها وهو: الزواج.. والتناسل.. ثم ومن بعد ذلك.. فليكن الطوفان!

●●●

ولكن العيب أن الرجل لم يحترم سنّه ولا طاقته.. وبدل أن يتزوج «سميرًا» يناجيه في الليالي الموحشة.. إذا به يتخير فتاة من أحفاده.. وكان عليه أن يتحمل نتيجة قراره العجول المتعسف!!

●●●

وفي التاريخ مواقف.. نسوقها.. تبصرة وذكرى:

يحكى عن رجل هـرم أنه كان قـد تزوج بفـتـاة.. ثم زين الحـجـرة بالورد.

وجلس مـعها بـالخلوة. وقيّـد بها عـينه وقلبه: لم يكن ينام الليـالي الطوال. وكان يقول المُلَح واللطائف. علّها لا تستوحش وتأنس.

ومن جملة هذا. كان يقول لها ذات ليلة:

إن بختك العالي كان مُعينًا ومـسعدًا.. وكانت عين إقبالك يقظى: إذْ وقعت في صحبة شيخ ناضج. مُرَبَّي ومجرِّب.

وقد ذاق من الدنيا: البارد والحار.. وجرب الحسن والقبيح:

يعرف حق الصـحبة.. ويـؤدي شرط المودة.. مشـفق ودود.. حسن الطبع. وحلو اللسان.

●●●

أستميل قلبك.. وأسترضيك ما استطعتُ وإن تؤذيني.. لا أوذيك!

وإن يكن طعامك السكّر.. مثل الببغاء.. فالروحُ الحلوة فداء تربيتك.

●●●

إن لم تأت أسيرة في يد شاب:

معجب بنفسه.. فاسد الرأي.. عنيد.. روّاغ.. فرّار.. متقلب..

ينضح على هنيـهـة هوسًـا.. ويقدم كل لحظـة رأيًا.. وينام كل ليلة بمكان.. ويتخذ كل ليلة حبيبة:

قال:

وقلت كـلامًا كـثـيرًا على هـذا النمط.. وظننت أن قلبـها جـاء في قيدي.. وصارت صيدي!

●●●

فصعدَّتْ فجأة نَفَسًا باردًا.. من قلب مفعم بالألم وقالت:

إن الكلام الكثـيـر الذي قلته.. لـيس له في ميـزن عـقلي وزنُ تلك الكلمة التي سمعتها مرة من قابلتي حيث قالت:

إذا استقر سهم في جنب المرأة الشابة.. فهو خير من شيخ!!

إن المرأة إذ تقوم من عند زوجـها غيـر راضية.. تقوم الفـتنة والحرب كثيرًا في هذا البيت.

والشيخ الذي لا يـستطيع القيـام من مكانه إلا بعصـا.. فالعـصا لمن عصى!

ألا إنها القوة.. وليست الذهب:

لأن «جزرة» واحدة.. أحب إلى المرأة من عشرة أطْنان من اللحم!

الشيخ
وزوجته الشابة

يقول السعدي الشيرازي:

[سمعت أن شيخًا طاعنا في هذه الأيام. عقد خياله بأنه يتزوج في حال شيخوخته..

فتزوج بنية حسناء اسمها «جوهرة» وأخفاها عن أعين الناس.. ثم هيئت كما كان رسم العروس..

ولكن:

وُتر القوس.. ولم يصب الهدف!

لأنه لا يمكن خياطة الثوب السميك إلا بالإبرة الفولاذية!

فشرع يشكو إلى الأصدقاء، ثم قال:

هذه الوقحة كنست ثروتي تمامًا.

وقامت الحرب والفتنة بين الزوجين.. بحيث انتهتا إلى الشِّحنة والقاضي.

قال السعدي:

وبعد الخلاف.. ما ذنب الفتاة؟

أنت الذي ترتعش يدك.. كيف تستطيع أن تثقب الجوهر؟!

●●●

وفي الجملة : لم تمكن الموافقة. وانتهى الأمـر بالمفارقة. فلما انقضت العدة. عقدوا نكاحها على شاب:

كالح الوجه. صفر اليـدين. سيئ الخلق. فكانت ترى الجور والجفاء. وتقاسي الألم والعناء. وتشكر نعمة الحق قائلة:

الحمد لله إذ نجوت من ذلك العذاب الأليم. إلى هذا النعيم المقيم!!

●●●

ونطق لسان الحال:

إحتراقي في العذاب معك.. خير من ذهابي إلى الجنة مع غيرك!

"صنان البـــصل" من فم الحـــسناء.. يجئ أطيب مـن الورد في يد الشوهاء.

ومع كل هذا الجور. وحدة الطبع. احتمل ولأنك.. لأنك جميل.

●●●

لقد أغمض هؤلاء المتصابون أعينهم فلم يقرؤا الواقع جيداً..

وكـان لـهم من سـول لـهم خـوض تجـربة فـاشـلة من الشـعـــراء الحالمين.. والذين قالوا:

[لا ترج الوفاء من البلابل فإنها تغني كل لحظة على وردة أخرى

الفتيان رشـيقوا الحركة.. ومحبوبون.. ولكنهم لا يقـيمون على الوفاء لأحد. خلاف الشيوخ.

فإنهم يعيشون بالعقل والأدب.. لاعلى مقتضى جهل الشباب].

أطلب أفـضل منك.. وعـد ذلك فـرصة.. فـإنك مع مـثلك تضـيع أيامك!

ولا يبقى إلا الندم

هذا الندم الذي عض ذلك العجوز المتصابي والذي يقول:

[لا يكون للأصحاء ألم الجريح.. فلا أشكو ألمي لغير مشارك في الألم.. والحديث عن «الزنبور» بغير طائل مع شخص لم يلسع مرة في عمره. ما لم تكن لك حال مثل حالنا.. فحالنا عندك خرافة ليس أكثر..

لا تقس ألمي بألم شخص آخر:

هو: الملح على كفه..

وأنا: الملح على عضوي الجريح!

أنت لا تأتيك رحمة على ألمي

ينبغي أن يكون رفيقي له نفس الألم

لأحكي لك قصتي ليل نهار.

أريد صدرًا ممزقًا من الفراق.. لأشرح له ألم الاشتياق].

●●●

وقد كان هناك «شيوخ» عقلاء.. كانوا واقعيين. لا يحبون أن يأخذوا زمانهم.. وزمان غيرهم من الشباب، ومنهم ذلك الشيخ الذي قيل له:

لم لا تتزوج؟ فقال:

لا ألفة لي بالعجائز..

قيل له: تزوج شابة. مادامت لك مُكنة.

فقال: لا ألفة لي أنا الشيخ بالعجائز. فكيف يمكن لمن تكون له شابة

أن تحبني أنا الشيخ؟!

●●●

ومنهم ذلك الشـيخ الأبي.. الذي رفض أن يعـيش تحت رحمـة أنثى سامته سوء العذاب فقال:

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى... وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد؟
وألقاك جسمًا مستباحًا. وطـالما
لقيتك جم الخــوف. جم التـــردد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى
ففي غير بيت. كان بالأمس معبدي!

●●●

ولقد كان في ذلك منطلقًا من قاعدة تقول: [هناك قوتان متناجزتان.. لم تشغل الميدان قوتان: أكبر منهما:

عقيدة.. وشهوة

نسك.. وفتنة

جسـد تمرد من فـرط الحـرمـان.. وروح. تمردت من فـرط المتـاع والشهوات. ولقد رزقْت فتنة قوية. ولم ترزق عظمة قوية.

فلم يزل عزيزًا لديها أن تنخذل بالفتنة أمام العظمة. ولم يزل من دأبها أن تجرب هذا السلاح أمام كل سلاح].

صوت الحكمة

فإذا صـرت شيخًا . . فـأقصر يدك عن التصـابي ودع اللعب والظرفة للشبان . .

لا تتطلب من الشـيخ طرب الشـاب اليـافع . . لأن الماء الذاهب . . لا يعـود إلى النهر . . إذا حـان للزرع وقت الحصـاد . . لا يتمـايل ولا ينثني . كالخضرة الجديدة!

الجواد العربي يمضي مسرعًا مطلقًا . . والجمل يسير متمهلاً ليل نهار

●●●

إن الحب بين الزوجين لن يتنامى . . إذا لـم يكن هناك انسجـام . . هذا الحب الذي ينبغي أن يمتد: عمقًا . . في القاع . واتساعًا في كل الأصقاع . .

●●●

إن الحب إذا لم يتجدد . . تبدد، وإذا لم يُضاعف . . ضعُف!

●●●

وبضدها تتميز الأشياء

●●●

وفي الصورة المقابلة . . ترى نماذج طيبة لرجـال أحرار . . تجاوزوا المتعة الصغـيرة . . حين نسـوا أنفسهم . . ثم كـانوا معـوانًا للشبـاب على أمر الله تعالى . .

وإذا «يخطف» المتصابي.. هذه الفتاة بماله.. فإن هؤلاء الأحرار.. كانوا هم الأبرار.. بما نسوا من حظوظ أنفسهم.. وتذكروا حق الشباب عليهم.. فأسهموا بهمتهم في حل مشكلة الزواج...

وحين تجف الموارد.. ويستحيل اللقاء بين الفرقاء.. فإنهم يتدخلون في اللحظات العصيبة.. فاجتمع بهم الشمل.. وتكونت بهم أسر.. على تقوى من الله ورضوان:

أقسم عمر بن أبي ربيعة أن يتوب فلا ينظم في الغزل بيتًا واحدًا.. ولو قال بيتًا في الغزل.[لأعتق في مقابله عبدًا من عبيده].

●●●

وذات يوم كان يطوف بالكعبة.. فوجد شابًا وشابة يتناجيان فاقترب منهما وقال:

ما شأنكما؟! فقال الشاب:

حبيبان!!

قال: فلماذا لا تتزوجان؟

قال: أبوها يغالي في مهرها.

فقال: كم يريد؟

قال: مائة دينار.

فقال: قوما بنا إليه.

وقام ثلاثتهم إلى والد الفتاة. وقدم إليه المهر وتزوجها.

لكن عمر عاد إلى بيته فلاحظت زوجته أنه عاد بغير الوجه الذي ذهب به!

فأنشد ستة أبيات منها:

تقـــول وليـــدتي لما رأتني ... طربت.. وكنت قد أقصرت حينًا
أراك اليوم قد أحدثت شوقًا ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء ... إذا ما شئت فارقت القرينا
بربك: هل أتاك لها رسول ... فهاجك. أم لقيت لها خدينا
فقلت: شكا إلى أخ محب ... كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند ... فذكرّ بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم ولو تعزّى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

●●●

ثم أعتق تسعة أعبد.. بكل بيت عبدًا!!

قال ابن الجوزي في «أخبار الظرفاء»:

في بغداد.. خرج رجل فقصد يتعرج على الجسر.. فأقبلت امرأة من الجانب الغربي فاستقبالها شاب وقال لها: رحم الله عليّ بن الجهم.

فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري!؟

ومرًا.. فقال: فتتبعت المرأة. وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما.. فضحتك!

فقالت: قال لي: رحم الله على بن الجهم .. يريد قوله:

عيون المهابين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على أبي العلاء.. قوله:

فيادارها بالحزن . . إنَّ مزارها

قريب . . ولكن دون ذلك أهوال!

obeikandl.com

عندما يكون الزواج تجارة.. وشطارة

هناك نماذج كاذبة خاطئة.. تجعل من الزواج تجارة أو شطارة..

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال:

[ما خـدعني أحد قط.. غير غـلام من بني كعب: فقد ذكـرت إمرأة منهم فقال الغلام: أيها الأمير لا خير لك فيها! :

لقد رأيت رجلاً خلا بها.. فقبلها.!

يقول المغيرة: ثم بلغني من بعد أنه تزوجها!

فأرسلت إليه فقلت: ألم تخبرني بأنك رأيت رجلاً يقبلها؟!

فقال الفتى: بلى:

رأيت أباها يقبلها!!].

●●●

وعندمـا قرأت هذا المـوقف.. انقدح في ذهني نـهيـه ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيـه.. مغالاةً بعلاقة الزوجـية.. التي ينبغي ألا تكون سلعة خاضعة لمثل مساومات التجار في الأسواق.

●●●

ومع هذا.. فـمازال هناك من يحتـال.. ثم يغتـال هذه العلاقـة في عنفوانها.. حـتى يفوز بزوجته سوف تكون وبالاً عليـه.. لأن النهاية ثمرة البداية..

بل إن هذا الاحتيال قد ينحط إلى درك الخيانة . . ومن ذلك ما ورى

●●●

من أن فتى سأل صديقه:

هل ما زالت الفتاة التي تخطبها ترواغك؟

قال: نعم.

فقال له صديقه: لماذا لم تقل لها: إن عمّك غني جدًا . . وعجوز جدًا . . وأنا وارثه الوحيد؟!

فرد عليه صاحبه قائلاً:

ياصديقي: لقد قلت لها ذلك . . فسارعت إلى عمىّ هذا فعرضت عليه نفسها . . ثم تزوجته!!

●●●

ولله في خلقه شئون!

obeikandl.com